ابن حمديس يرثى جاريته

قال الشاعر الوجدانى الوصّاف ابن حمديس يرثى جاريةً له ماتت غريقة فى المركب الذى عطب به فى خروجه من الأندلس الى افريقيّة ، وكان يحبّ هذه الجارية حبّاً جمّاً ، فأوحت لوعتُه على فقدها هذه اليتيمةَ بين نفائس شعر الرثاء

أيا رشاقةَ غُصنِ البانِ ما هصرَكْ ؟ ... ويا تألّفَ نَظْمِ الشملِ مَنْ نثرَكْ ؟
ويا شؤونى ، وشأنى كلُّهُ حَزَنٌ ... فُضِّى يواقيتَ دمعى واحبسى دُرَرَكْ !
ما خِلْتُ قلبى وتبريحى يقلّبهُ ... الا جَناحَ قَطاةٍ فى اعتقالِ شرَكْ !
لا صبرَ عنكِ ، وكيف الصّبرُ عنك وقد ... طواكِ عن عَيْنِىَ الموجُ الذى نشرَكْ ؟!
هَلاّ ، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ ... لا تَلحظُ العينُ فيها ذابلاً زهرَكْ
أماتكِ البَحْرُ ذو التّيارِ مِنْ حَسَدٍ ... لَمّا درى الدُّرُّ منه حاسداً ثغرَكْ ؟!
وَقَعْتُ فى الدّمْعِ إذْ أُغرقتُ فى لُجَجٍ ... قد كاد يَغْمرنى منه الذى غمرَكْ !
أىُّ الثلاثةِ أبكى فَقْدَهُ بدَمٍ ... عميمَ خلْقِكِ أم مَعناكِ أم صِغَرَكْ ؟
مِنْ أين يقبح أن أفنى عليكِ أسًى ... والحُسْنُ فى كلِّ فنٍّ يقتفى أثرَكْ ؟
كنتِ الشبيبةَ إذ ولّتْ ولا عِوَضٌ ... منها ولو رَبِحَ الدُّنيا الذى خسرَكْ
ما كنتُ عنكِ مُطِيلاً بالهوى سفرى ... وقد أطَلْتِ لحَيْنِى فى البلَى سفرَكْ
هل واصِلِى منكِ الاّ طيفُ تَيّتةٍ ... تَهْدِى لعينىَ مِنْ ذاكِ السكونِ حرَكْ ؟
أعانقُ القبرَ شوقاً وهو مشتملٌ ... عليكِ لو كنتُ فيهِ عالماً خبرَكْ

وددتُ يا نورَ عيني لو وَقَى بصري ... جنادلاً وتراباً لاصقاً لشرَكْ !
أقول للبحرِ إذْ أغشيتُه نظري : ... ما كدَّر العيشَ إلا شُرْبُها كدرَكْ !
هلاَّ كففتَ أُجاجاً منكَ عن أشرٍ ... مِنْ ثغرِ لمياءَ لولا ضعفها أشَرَكْ ؟
هلاَّ نظرتَ إلى تفنيرِ مُقْلتِها ... إني لأعجبُ منه كيف ما سحرَكْ !
يا وجهَ جوهرةِ المحجوب عن بَصَري ... مَنْ ذا يَقيكَ كسوفاً قد علا قمرَكْ ؟
ياجسمَها كيف أخلو مِنْ جَوَى حَزَني ... وأنتَ خالٍ من الرُّوح الذي عمرَكْ ؟
ليْلى لما أطالَكَ بالأحزانِ مُعْتَنِقَةً ... عليَّ مَنْ كانَ بالأفراح قد قصرَكْ
ما أغفلَ النائمَ المرموسَ في جَدَثٍ ... عمَّا يُلاقي من التبريح مَنْ سَهِرَكْ !
يا دولةَ الوصلِ إنْ وَلَّيتِ عن بَصَري ... فالقلبُ يقرا في صُحْفِ الاسى سهرَكْ
لئن وجدتُكِ عنِّي غيرَ نابيةٍ ... فانَّ نفسيَ منها رَبُّها فطرَكْ
إنْ كان أسلمَكِ المضطرُّ عن قدَرٍ ... فلم يَخُنْكِ على حالٍ ولا غدرَكْ
هل كان الاَّ غريقاً رافعاً يَدَهُ ... نَهاهُ عن شُرْبِ كأسٍ مَنْ بها أمرَكْ ؟
وارحمتا لوَلوعٍ بالبكاءِ فما ... يُنسيهِ ذكرَكِ دَمْعٌ بالهوَى ذكرَكْ
أما عَدَاكِ حِمامٌ عن زيارته ... فكيفَ أطمعَ فيكِ النفسَ وانتظرَكْ ؟
إنْ كان للدَّمعِ في أرجاءِ وجنتهِ ... تَبَرُّحٌ فهو يبكي بالأسى خفرَكْ
وما نجوتُ بنفسي عنكِ راغبةً ... وانَّما مَدَّ عُمْري قاصرٌ عمرَكْ

بين الحياتين

قلتُ والقولُ مُتعتي وثرائي ... وطماحي بغُنيتي وضِرارى
للذي أرتجيه وهو مع الغيبِ (م) خليقٌ بنعمةِ الأبرارِ